شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٨ عديّ بن حاتم

هو عديّ بن حاتم الطائيّ بن عبدالله الطائيّ ويكنى ابا طريف . وابوهُ حاتم هو الذي يضرب العرب بهِ المثل في الجود والكرم . وقد نشأ عديّ في حجْر والدهِ وتخلّق باخلاقهِ وصار بعد وفاتهِ خلفاً لهُ في رئاسة قومهِ فكان بنو طيّ ينقادون لهُ في كلّ امورهم . وكان عديّ نصرانيًّا لا خلاف في ذلك وقد صرّح بنصرانيّتهِ ابن هشام في سيرة الاصول (ص ٧٤٧) والطبري في تاريخهِ (١ : ١٧٠٧) وقد ذكر عن نفسهِ انهُ كان ملكاً في قومهِ يسير فيهم بالمرباع على خلاف قوانين دينهِ وانهُ كان ركوسيًّا وقد اختلفوا في معنى ذلك فقالوا الركوسيّة مذهب من مذاهب النصارى وقال ابن الأعرابي بل هو نعتٌ من نعوتهم (راجع التاج في مادّة ركس)

ومّما رواهُ في معجم البلدان عن سبب تنصّرهِ (٣ : ٩١٣) انهُ كان عاقر عند صنم لطيّ يُدعى الفَلْس يعبدونهُ ويهدون اليهِ ويعتمرون عندهُ عتائرهم ولا يأتيهِ خائف الّا أمن ويزعمون انّ لا احدًا يستطيع ان ينتهك حرمتهُ الّا أُصيب بداهية . فخرج مالك ابن كلثوم الشيخي يطلب ناقةً لجارة استغاثت بهِ فوجدها موقوفة عند الفَلْس فحلّ عقالها ونزل الصنم برمحهِ فسدعا عليهِ سادنُ الصنم . فبلغ خبرهُ عديًّا وجلس هو ونفر يحدّثون بما صنع مالك وفرغ من ذلك عديّ بن حاتم وقال: انظروا ما يصيبهُ في يومهِ فمضت لهُ أيّام لم يُصبهُ شيء فرفض عندي عبادتهُ وعبادة الاصنام وتنصّر

وبقي عديّ على نصرانيّتهِ بعد ظهور الاسلام الى السنة التاسعة من الهجرة وهو شديد الكراهية لرسول العرب حتى غزا المسلمون احياء طيّ فاسروا السفّانة ابنة

حاتم اخت عديّ فلاذت بمحمّد بقولها: امنُن عليّ منّ الله عليك. فعرف محمّد انّها ابنة حاتم الطائي ففكّ اسرها واعادها الى قومها في الشام مكرّمةً. فلمّا قدمت الشام اخبرت اخاها بما فعل محمّد فأثّر ذلك به ودفعه الى ان يَفِد بقومه الى محمّد ويدين بالاسلام فولّاه صدقات قومه. وكان عديّ احد المعمّرين قيل انهُ عُمّر ١٨٠ سنة على ما روى ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمّرين (ص ٣٧) وتوفي سنة ٦٨ ﻫ (٦٩٠م) فيكون وقع اسلامهُ اذ أربى عمرهُ على المئة والثلثين سنة فتأمّل

وممّا يخبر عنهُ في الاسلام انهُ كان موالياً لعليّ ولأنصاره وانهُ حارب مع المسلمين في مواقع كثيرة فسار مع خالد لفتح فارس وحضر يوم القادسيّة ويوم المدائن ويوم جَلُولا ويوم نهاوند ويوم تُستَر وشهد مع عليّ الجمل وصفّين في محاربته لمعاوية وذهبت عينهُ يوم الجمل وحارب الخوارج وهو لم يزل في عزّ قوّته ثمّ نزل الكوفة وابتنى بها داراً في طيّ. ومات بالكوفة زمن المختار

وكان عديّ ابيًّا فخوراً يرى السباق لقبيلته. قيل انهُ لمّا قدم على رسول الاسلام وحادثهُ قال لهُ: «انّ فينا اشعر الناس واسخى الناس وافرس الناس». اراد باشعر الناس امرأ القيس بن حجر وباسخاهم حاتماً والدهُ وبأفرسهم عَمْرو بن معدي كرب. وكان لعديّ حظوة لدى الخلفاء والارباب فكان الجناة يستشفعون بهِ فينال لهم النجاة من العقاب

وكان عديّ مع ذلك شاعراً وان لم يبلغ في ذلك مبلغ ابيهِ. فممّا رواهُ لهُ البحتري في حماسته (ص ٥٨) قولهُ (من الطويل):

مِنْ مُبلِغٌ أفناءَ مَذْحِجَ أنّني ثأرتُ بخالي ثمّ لم أتأثّمِ
تَرَكتُ أبا بكرٍ ينوءُ بصدرهِ بضِغْنَين مخضوبَ الكعوبِ من الدمِ
يذكّرني ثأري غداةَ لقيتُهُ فأجررتُهُ رُمحي فخرّ على الفمِ
يذكّرني ياسينَ حينَ طعنتُهُ فهلّا تلا ياسينَ قبلَ التقدّمِ

وروى لهُ ايضاً (ص ٣٠٣) قولهُ (من المنسرح):

أصبحتُ لا أتبعُ الصديقَ (١ ولا أملكُ ضرًّا للشانئِ الشَّرِسِ
وإنْ عدا بي الكُمَيتُ مُنطلقاً لم تملكِ الكفَّ رَجْعَةُ الفرَسِ (٢
أصبحتُ خِشًّا مُمَيَّتاً خَلَقاً قلبي لحبِّ الحياةِ في لَبَسِ

. وروى لهُ ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين (ص ٣٧ ,éd. Goldziher) قولهُ وكان لمَّا اسنَّ استأذن قومهُ في وطاء يجلس عليهِ في ناديهم وكان قد كبِر ورقَّ عظمهُ . فأبطأوا عليهِ فقال (من الوافر) :

أجيبوا يا بني ثُعَلَ بن عمرٍو ولا تكْمُوا الجوابَ من الحياء
فاني قد كبِرتُ ورقَّ عظمي وقلَّ اللحمُ من بَعْد النَّقاء
وأصبحتُ الغداةَ أريدُ شيئاً يقيني الارضَ من بردِ الشتاء
. وطاءً يا بني ثُعَلَ بنِ عمرٍو وليس لشيخكم غيرُ الوطاء
فان تَرْضَوا بهِ فسُرورُ راضٍ وان تأبَوا فاني ذو إباء
سأتركُ ما اردتُ لما أردتُمْ وردُّكَ مَنْ عصاكَ من العَناء
لأني من مَساءتكم بعيدٌ كبُعْد الارض من جوّ السماء
واني لا اكونُ بغير قومي فليسَ الدَّلوُ إلَّا بالرِشاء

فأذنوا لهُ ان يَبسُط في ناديهم وطابت بهِ انفسُهم وقالوا : انت شيخنا وسيّدنا وابنُ سيّدنا وما فينا احدٌ يكرهُ ذلك ولا يدفعهُ

وقد رُويت لهُ ابيات من الرجز قالها في صفين (وقعة صفّين ٣ : ٢٨١) :

اقول لمَّا أن رأيتُ المَعْمَعَهْ واجتمع الجندان وَسْطَ البَلْقَعَهْ

---

١) ويروى في تذكرة الحمداني : لا انفع الصديق
٢) روى في التذكرة : وان جرى بي الجوادُ ...

هذا عليٌّ والهدى حقًّا معَهْ فمن أراد غيَّه فضعضعَهْ
يا ربِّ فاحفظهُ ولا تضيِّعْهُ فانهُ يخشاكَ ربي فارفعهُ

ورُوي لهُ ايضاً اذ حمل في صفّين على عبد الرحمان بن خالد (٤: ٣٢١)

ارجو الهي واخافُ ذنبي وليس شيءٌ مثلُ عفو ربّي
يا ابن الوليد بغضُكم في قلبي كالهَضب بل فوقَ قِنانِ الهَضبِ

وروي لابنهِ طريف وكان في يوم صفين حاملاً للواء فاقتحم ساحة الوغى وهو يقول راجزًا (٤: ٣٠٢)

أبعْد عمّارٍ وبعد هاشمِ وابنِ بَديلٍ فارس الملاحمِ
ترجو البقاء مثلَ حلم الحالمِ وقد عضضنا امسِ بالأباهمِ
فاليومَ لا تُقرَعُ سِنُّ النادمِ ليس امرؤٌ من يومهِ بسالمِ

ومن ظريف ما اخبرهُ ابن قتيبة في الشعر والشعراء عن كرم عدي بن حاتم ما حرفهُ قال (ص ٢٣٧) : « اتى سالمُ بن دارة الاسدي عديَّ بنَ حاتم فقال لهُ : قد مدحتُكَ . فقال عديّ : أمسِكْ عليك حتى أُنبئك مالي فتمدحني على حسبهِ . لي الفُ مائةٍ والفا درهم وثلاثة أعبُد وفرسي هذا حبيس في سبيل الله قُلْ . قال :

تجنُّ قلوصي في معدٍّ وانما تلاقي الربيع في ديار بني نُعَلْ
وأبقى الليالي من عديِّ بن حاتمٍ حساماً كلونِ الملحِ سُلَّ من الخِلَلْ
ابوك جوادٌ لا يُشقُّ غبارُهُ وانت جوادٌ ما تعذّرُ بالعِلَلْ
فإن تتّقوا شرًّا فمثلكمُ اتّقى وان تفعلوا خيرًا فمثلكمُ فعَلْ

فقال لهُ عديّ : أمسِكْ عليك لا يبلغُ مالي اكثرَ من هذا . وشاطرهُ مالهُ

سِمْعان بن هُبَيرة

هو ابو السَّمّال (ويروى السمّاك والسمّال) سمعان بن هُبَيرة بن مساحق بن بُجَير

ابن عُمير الاسدي شاعر نصرانيّ من بني اسد بن خزيمة اسلم مع قومهِ عند ظهور الاسلام لكنَّهُ ارتدّ الى دينهِ بعد وفاة محمَّد وتبع طُليحة بن خويلد بن نوفل مع الحليفَيْن اسد وغطفان . فأسرع ابو بكرٍ وارسل سريَّةً مع خالد بن الوليد فانهزم طليحة ولحق بنواحي الشام عند بني جفنة النصارى وتبدَّد قومهُ . فعاد سمعان بن هبيرة الى الاسلام

وقد نظم ابو حاتم السجستاني سمعانَ بن هُبيرة في سلك المعمرين قال (ص ٥٤ ed. Goldziher,) : انهُ عاش مائة وسبعاً وستين سنةً . قال الصفدي في الوافي بالوفيات (Ms. de Paris, 716, ff. 1867) : «سمعان بن هبيرة ابو السَّمّال الاسدي الكوفيّ شاعر فصيح وفد على معاوية وكان مع طُليحة على الردَّة وكان لا يغلق على ارباب باباً فينادي مناديهِ في السوق والكناسة : من كان ها هنا من الاعراب ممَّن ليست لهُ خطَّة فعليهِ بمنازل ابي السمَّال ألا وبني كلب خاصَّة» . فقيل لهُ : لِمَ خصصتَ كلباً . قال : لانَّهم ليس لهم في الكوفة كثيرُ احد . فلمَّا بلغ ذلك عثمان بن عفَّان اتَّخذ للاضياف منازل . قال ابن المرزبان : وسمعان بن هبيرة هو الذي شرب الخمر عند النجاشي في شهر رمضان نهارًا فهرب ابو السمَّال وحدَّ عليٌّ بن ابي طالب عنهُ النجاشيّ . ومن شعرهِ (من البسيط) :

لن ندَّعي معشرًا ليسوا بأُخوتنا ... حتى الممات وان عزُّوا وان كرموا
اذ نحنُ حيٌّ جميعُ الامر حلَّتُنا ... غورًا تهامةُ والإسافُ والحرمُ
ثمَّ استمرَّت بهم دارٌ مفرَّقةٌ ... بين الجميع ودهرٌ زينُهُ أَضمُ

وهو الذي يقول (من الطويل) :

وهازئةٍ من شيبتي وتخُنني ... وطولِ قعودي بالوصيد افكِّرُ
تقول فَنِي سمعانُ بعد اعتدالهِ ... وبعد سواء الرأس فالرأسُ أزعرُ
فقلتُ لها لا تهزَئي انَّ قصرَكِ ... م المنايا وريبُ الدهر بالمرء يغدرُ
فكم من صحيحٍ عاش دهرًا بنعمةٍ ... فحلَّ بهِ يومٌ اغرُّ مشهَّرُ

وصار لِقَى في البيت لا يبرح القِنا ... رَذيًا عليهِ كآبةٌ وتوقُّرُ
وقد كان مِدلاجاً الى المجد مُتْعِباً ... اليهِ المطايا عُمرَهُ ليس يفتِرُ
فلمَّا ترمَّتْهُ المنايا ورَيبُها ... تقوَّسَ منهُ الظهرُ فالخطوُ مُقصَرُ (١
وعاد كفرخ النَّسر اعمى عن التي ... يُريدُ طَوالَ الدهر يَهدِي ويَهتدِرُ
فان اكُ شيخاً فانياً فلربَّما ... اصبتُ الذي أهوى وما كنتُ احذرُ
ورُبَّ خيورٍ جمَّةٍ قد لقيتُها ... وشرٍّ كثيرٍ عن شواتي (٢ تحدَّرُ
وخيلٍ دعتني للنزالِ اجبتُها ... وفي الكفِّ مني مَشرَفيٌّ مُذكَّرُ
وتحتي طِمِرٌّ مستطارٌ فؤادُهُ ... سليمُ الشظا نهدٌ كُميتٌ مُضمَّرُ
فنازلتُ اذ نادَوا نَزالِ ونلتُ ما ... ينالُ الكريمُ الاحوذيُّ المشمِّرُ
فذلك دهرٌ قد مضى حلوُ عيشهِ ... وغادَرني شأواً الى الذنبُ يَكثِرُ
وقد كنتُ أبّاءً على القِرن مُرجماً (٣ ... اجودُ واحمي المُستفاتِ وأصبَرُ
وللموتُ خيرٌ لامرئٍ من حياتهِ ... بدارةِ ذُلٍّ عَلْ بلايا يوقَّرُ

(قال) يريد «على البلايا» فادغم اللام. وقال ابو حاتم: وآخر حرفٍ في كتاب سيبويه «عَلْماء يتوكّلون» يريد «على الماء»

(لها بقيّة)

---

١) قال الشارح: مُقصر مصدر صفة للخطو
٢) شواتُهُ جلدة رأسهِ
٣) مُرجماً اي شديداً كأنهُ يُرجَم بهِ معاديهِ